

ملاحظات حول:

بحث "أدوات التعريب المواكب"

للدكتور عفيف دمشقية

يقام: عبد العزيز بن عبد الله

« الزاموز » المشترك) وتصميم نشرها في الوطن العربي لمعالجة ظاهرتين لغويتين يطلق عليهما علماء اللسانيات الاجتماعية اسم (الإزدواجية) . وهاتان الظاهرتان هنا أولا : تمايش اللغة العربية الفصحى في كل قطر مع لغة عربية عامة بصورة تكاملية أي أن لكل منها استخداماتها الخاصة في المجتمع اللغوي .

وثانيا : تعدد الغايات في الوطن العربي . ونحن نتفق مع الباحث الفاضل في كثير من الوسائل التي ذكرها في سبيل تفهيم اللغة الفصحى المشتركة في الوطن العربي « سهيلا لتواصل أفراد الأمة العربية فيما بينهم ، وشحذا لأحاسيسهم بالانتماء والولاء لمجتمع لغوي واحد ، لأنه أمتن أشكال المجتمعات » كما يؤكد الباحث . ولنا ملاحظات نسوقها هنا .

أولا ، نطرح دائما التي ارتكاز المقالات على بحث تجريبية موضوعية أو دراسات احتمالية واضحة؛ لكن تكون نتائج هذه المقالات أقرب إلى الصواب وتوصياتها أكثر فائدة ، لا أن تقدم نظرات عامة بعضها جرب وضخ وبغضها لم يجرب . فغندما نتحدث مثلا عن اللغة التي تستخدمها الأذاعات العربية . لا

لقد استخدم الدكتور دمشقية في بحثه القيم مصطلح (التعريب) للدلالة على مفهوم لم نعهده من قبل ولم يتواضع عليه الغرب في استعمالهم اللغوية منطوقة أو مكتوبة ، فلقد حضرنا لمصطلح (التعريب) دلالات أربع : أولاها ، ما يستعمله المصطلحيون حين يتحدثون عن اللفظ (المعرب) أي اللفظ الأجنبي المنقول إلى العربية بلفظه ومعناه دون شكله المكتوب ، وثانيها ، ما يظهر أحيانا في الكتب المترجمة من استعمال كلمة (التعريب) كمرادف لكلمة (ترجمة) . يقال الكتاب الأجنبي من تعريب الاستاذ فلان ، وثالثها ، استخدام اللغة العربية في الإدارة والتعليم في قطر بدلا من لغة أجنبية كما هو الحال في تعريب الدواوين أيام الخليفة عبد الملك بن مروان وما تأمل أن يتحقق في التعريب العاجل في بعض الاقطار العربية ، ورابعها تعريب الأسماء والتبائل أي جعل استخدام اللغة العربية وسيلة تواصل حضاري وتنساق .

أما الدكتور دمشقية فنستشف من عنوان بحثه ومضمونه أنه استخدم (التعريب) للدلالة على تشبيط لغة عربية فصحى مشتركة (أو ما أسماه بـ

نستطيع أن نجزم بأن « معظم برامجها بالنصحي » ما لم نتم بدراسة إحصائية لهذه البرامج والمدة التي يستخدمها كل برنامج . فقد وجد باحث آخر قام بمثل هذه الدراسة الإحصائية أن « معظم برامج الإذاعات في ثلاثة أقطار عربية تستخدم العامية بدلاً من الفصحى » (1) فهي كثيراً ما تستخدم العامية في الأغاني والبرامج المهنية للفلاحين والعمال ، والمسرحيات والتشكيلات الإذاعية ، والبرامج الفولكلورية . ويكاد يقتصر استعمال الفصحى على البرامج الدينية والنشرات الإخبارية ، والتعليقات السياسية .

ثانياً ، عندما نتحدث عن تيسير اللغة النصحي في السينما والمسرح لتكون قريبة من أفهام عامة الناس ليتفاعلوا معها بيسر ، ينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا التمييز بين نوعين من القدرة اللغوية (2) لدى الناطقين باللغة هما : القدرة الاستيعابية والقدرة التعبيرية ، وتشير القدرة الأولى إلى قابلية الناطقين باللغة رغم ضعف مستواهم الثقافي بل أمتهم أحياناً لفهم اللغة منطوقة أو مكتوبة ولو بصورة إجمالية ، أما القدرة التعبيرية فهي قابلية الناطقين باللغة للتعبير بتلك اللغة شفهاً أو تحريراً . وقد تختلف القدرة الاستيعابية عن القدرة التعبيرية لدى الفرد الواحد . وبصورة عامة يتفق الباحثون على أن عامة الناس في الوطن العربي يتفهمون على قدر استيعابية للغة العربية الفصحى على الرغم من عدم تمكنهم من التعبير بها بصورة صحيحة أو طليقة ، وذلك راجع إلى أن متطلبات القدرة التعبيرية أكثر وأصعب من متطلبات القدرة الاستيعابية ، وإلى وجود مناطق التقاء واتفاق تتفاوت كما وكيفا من لهجة إلى أخرى بين الفصحى والعامية على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . ولهذا كله ننحن لا حاجة بنا إلى تحيل مشاق تبسيط اللغة الفصحى ومخاطره ، لأن لغاية الناس القدرة على فهم اللغة الفصحى المعاصرة . فالرجل العادي المغربي يستمع مثلا إلى إذاعة القاهرة ويفهم مجمل الكلام وفحواه . ونحن لا نحبذ الارتكاز على التيار الشعبي الجهوي في التعبير عن مفهوم بلغة مبسطة بدعوى الواقعية ، فهذا معناه دعم الاشتراكية في اللهجات ،

واننا نقر بوجود واقعية إقليمية وواقعية مشتركة ، ونذعو إلى الارتقاء من الواقعية الإقليمية إلى الواقعية المشتركة انطلاقاً من بساطة المصطلح دون تعقيد الجانب الغني زيادة عن الحد الطبيعي المشترك .

ثالثاً ، عندما نتحدث عن تيسير العربية الفصحى ، ينبغي أن نقترح خطة عمل واضحة تتبناها المجمع اللغوية العربية ويطبقها الكتاب والمؤلفون ورجال الاعلام . وفي نظرنا أن عناصر الخطة المقترحة تتركز على أسس ثلاثة هي :

- (1) الإقتصار على استعمال ما هو فصيح مفهوم في عومه أو إجماله من طرف الشعوب العربية .
- (2) عدم استعمال ما له طابع إقليمي عميق .
- (3) إحياء كل كلمة عامية لها أصل فصيح والعمل على تميمها تومياً .

رابعاً ، لا شك أن الأطفال يشكلون أجيال المستقبل الذين يستخدمون اللغة العربية الفصحى أساساً وحدتنا العربية وركنها المكين . وينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن مشكل تلقين الأطفال بلغة فصحة مشتركة هي مسألة ذات علاقة بتوحيد المصطلح الحضاري العربي وهو في شقها الأكبر مسألة محلولة تلقائياً عن طريق توحيد المؤسسات المختصة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للمصطلح الحضاري ، مثال ذلك توحيد المصطلحات في خصوص الإنسان وعلم الحساب ودروس الأشياء التي تنتقى منها المصطلحات العلمية في المستوى الابتدائي ، وكذلك المستوى الثانوي . والمفهوم الحضاري هنا ينصب على غالب المصطلحات التي تشكل القاموس الأساسي للطفل في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية . يبقى عنصر محدود له تقنية أدق لا يدخل في صلب المستويين الابتدائي والثانوي وانما يبدأ مع التعليم العالي أي مع التخصص وهذا العنصر لا علاقة له بموضوع أدب الأطفال .

وختاماً لا يسعني إلا أن أشيد ببحث الاستاذ الدكتور عفيف دمشقية لسلاسة عرضه ووضوح أفكاره ومساهمته الإيجابية في حركة تميم اللغة الفصحى المشتركة في جميع أنحاء الوطن العربي .